Al-SHARQ
Vol: 03, Isue:02, July-Dec 2022, pp:14-26

OPEN ACCESS
Al-SHARQ
ISSN (Online): 2710-2475
ISSN (Print): 2710-3692
www.alsharqjr.com

الظروف الاجتماعية والتعليمية في فترة العلامة العيني و ادب السيرة ﷺ (دراسة استكشافية)

Social and Educational Conditions during the time of Allama Al-Aini and Literature of Sirat Al-Nabi ﷺ (An exploratory Study)

Dr. Muhammad Waseem Mukhtar
Assistant Professor, Department of Islamic Studies & Arabic, Gomal University D.I Khan, KP

Saad Jaffar
Lecturer Islamic Studies, Department of Pakistan Studies, Abbottabad University of Science and Technology, Abbottabad

Waqar Ahmad
Lecturer, Institute of islamic studies. Mirpur University of science and Technology (MUST), Mirpur AJK

Abstract

The interpretation of the instructions of Allah Almighty and his Messenger was fulfilled in a very good manner by the eminent scholars of all times, considering it their duty. The great renowned Hanafi saint Qazi Muhaddis Alama Badar Al-Din, Al-Aini is also one of these Scholars of the ninth century (A.H). In his time, the Islamic world had been divided into many groups and sects, and there was a lack of unity and harmony among the Muslims, they were facing internal dissension and external aggression of the Muslims. As well as economically, they were divided into groups and classes. But Egypt was the source of scientific knowledge and wisdom, therefore students all over the world and especially from the Islamic world were attracted to it, to quench their thirst for knowledge. During the age of Al-Aini, being the center of knowledge and learning most of the books on different topics were written there. Therefore such remarkable and great books on Seerat un Nabi were also written here in which the life of Rasool() was described in poetry.

Keywords: *Badar Al-Din, Al-Aini deen, Ninth century (A.H), Economically, Egypt, scientific knowledge, the Islamic world,*

CC BY

Remarkable, Seerat un Nabi

فإن الله تعالى بعث الأنبياء والرسل ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وأنزل الصحائف والكتب ليهديهم من طريق الضلال إلى طريق الحق، فأرسل محمدا خاتم الرسل وأنزل القرآن كخاتمة الكتب، فجعله رسالة للعالمين ومصباح الهداية للناس أجمعين، ثم فسره بأقوال النبي ﷺ وبأفعاله وتقريراته، فقال تعالى:

"وَمَا ينْطق عَن الْهوى ان هُوَ إِلا وَحي يُوحى"[1]

وقال أيضا:

"وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا"[2]

ولأجل ذلك اهتم المسلمون بسنة رسول الله صلى الله وسلم منذ نزول الوحي، فحفظ أصحاب النبي ﷺ الأحاديث كما حفظوا القرآن، واستمر الأمر على ذلك، فقيض الله تعالى في كل عصر رجالا للمحافظة على سنة النبي ﷺ، ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ومن بينهم العلامة العيني الذي له جهود قيمة في سبيل العلم ولا سيما في علم الحديث، ففي هذا البحث نلقي الضوء على عصره الذي عاش فيه.

الوضع الإجتماعى:

عند بدو فتنة التتار، كانت مصر تحت سيطرة المماليك التي انتقلت إليهم بعد وفاة السلطان الأيوبي، فكان الوضع الاجتماعي في مصر غير مستقر، وذلك أن عددا كبيرا من الناس اضطروا إلى الهجرة إليها من أقطار مختلفة لأجل هجوم التتار، وتدخل السلطان تيمور في مناطقهم، فأصبحت مصر مقرا للثقافات المتنوعة والانتماءات المتعددة مما أدى ذلك إلى عدم استقرار الوضع، ولكن رغم ذلك كان معظم الناس متمسكين بالشرع، ملتزمين بالقوانين الاجتماعية.

"ان يراعى فيها مصلحة السلطان و كيف يستقيم له الملك مع القهر و الاستطاعة، وتكون المصالح العامة فى هذه تبعا ... الا ان ملوك المسلمين يجرون منها على ماتقتضيه الشريعة الاسلامية بحسب جهدهم؛ فقوانينها اذا مجتمعة من احكام شرعية و آداب خلقية وقوانين فى الاجتماع طبيعية ... و الاقتداء فيها بالشرع اولا"[3]

وعلى رغم تمسكهم بالشريعة، كان المجتمع في مصر مجتمعا طبقيا، متوزعا في طبقات مختلفة بناء على ما تتمتع به الطبقات من صفات وما تحمله من أموال، والسبب هو ما سبق ذكره بأنه اجتمع في مصر أناس من انتماءات متعددة وثقافات مختلفة۔

"كان المجتمع فى عصر المماليک مجتمعا طبقيا، بمعنى انه تآلف من عدة طبقات متميزة بعضها عن بعض فى خصائصا وصفاتها و مظاهرها وفضلا عن نظر الدولة لها ومقدار ما تتمتع به من حقوق او تنهض به من واجبات، و فى ظل مثل هذاالتعظيم الطبقى يبدو الفارق كثيرا بين الحكام و المحكومين..."[4]

وأثر هذا النظام الطبقي على حياة سكان الدولة الاجتماعية بحيث كان أثره يبرز عيانا، وإلى هذه الآثار الناتجة من النظام الطبقي أشار المؤرخ لين بال:

"During this brilliant Period [Mamaluk Revels] the population of Egyptwas divided in two dlasses, who sharply had little in common

with eachother, One was that the Mamluks, or military oligarchy, the other the massof Egyptians, were useful for cultivating the land, the latter paying the taxes"[5]

فالجهة المحكومة كانت تؤدي الضرائب مقابل قضاء بعض الحاجات، والجهة الحاكمة كانت تتمتع بتلك الأموال المحصولة من الضرائب، فأثر ذلك في الوضع الاقتصادي للجهة المحكومة (طبقة الفلاحين والعملاء) أثرا سيئا، نظرا إلى ذلك الوضع الاجتماعي قام المؤرخ المقريزي بتقسيم المجتمع إلى سبعة طبقات.

" الاول[آهل] الدولة، الثانى اهل اليسار من التجار، و آولى النعمة من ذوى الرفاهية. الثالث الباعة وهم متوسطو الحال من التجارة، ويقال لهم اصحاب البز ويلحق بهم اصحاب المعايش، وهم السوقة. الرابع اهل الفلح، (يعنى) اهل الزراعات والحرث، سكان القرى و الريف. الخامس الفقراء، وهم جل الفقهاء وطلاب العلم، والكثير من اجناد الحلقة ونحوهم. السادس ارباب الصنائع والآجراء اصحاب المهن. السابع ذووالحاجةو المسكنةوهم السؤال الذين يتكففون الناس ويعيشون منهم."[6]

بينما وزع سعيد عبد الفتاح عاشور المجتمع في ثمان طبقات،[7] فهذه الطبقات هي ما يلي:

- المماليك: اعتبر المماليك أنفسهم الطبقة العسكرية الممتازة نظرا لحكمهم مصر.
- طبقة المعممين: هم المعممون من أرباب الوظائف الديوانية والفقهاءوالعلماء والأدباء كما أطلق عليهم أرباب الأقلام، أهم الامتيازات التي تمتع بها المعممون،١- نفوذهم في الدولة ٢- احترام السلاطين وإجلالهم لهم ٣-السعة في الحياة نتيجة للرواتب التي أغدقها سلاطين المماليك عليهم(وأما منزلة العلماء والفقهاء في قلوب الناس فلم تكن تقل عن منزلة السلاطين، فكان الناس يلقبونهم بألقابات رفيعة، ويحترمونهم احتراما بالغا، ولأجل منزلتهم في قلوب عامة الناس كان الملوك في أشد حاجة إليهم)
- طبقة التجار: و هذه الطبقة كانت ركيزة مهمة في الدولة لدورهم البارز في اقتصادها، و لأجل ذلك كانوا يتمتعون بمنزلة كبيرة في جميع أنحاء الدولة.
- طبقة أرباب المهن في المدن: وهم العمال وأصحاب المهن المختلفة، وكان عددهم كبيرا لما أن مصر هاجر إليها أناس كثيرون من بلدان مختلفة، ولم يبق أمامهم طريق للكسب سوى أن يكونوا من أصحاب المهن والأعمال.
- طبقة أهل الذمة: كانت مصر بلدة لليهود والنصارى منذ زمن بعيد، فكانوا يمثلون أحدى الطبقات.
- طبقة الفلاحين: كان عددهم كثيرا في عهد المماليك، ولكن مع ذلك كانوا من أسفل الطبقات.
- طبقة الأعراب: وهم سكان البادية، استوطنوا مصر بعد أن اضطروا إلى الهجرة إليها لأجل الحروب في مناطقهم.
- طبقة الأقليات الأجنبية: والمراد من هذه الطبقة الكفار الذين توجهوا إلى مصر لأغراض التجارة، وكانوا مقيمين في مناطق مختلفة لمصر بإذن من الحكومة.[8]

وهذا التقسيم باعتبار الوضع الاجتماعي والاقتصادي والأمني، ومن هذه الطبقات كانت طبقة الفلاحين أكثرها مواجهة للظلم والاضطهاد؛ لأنهم كانوا يدفعون ضرائب طائلة وفي المقابل لا يحصلون إلا على

شيء يسير فكان عيشهم منكدا وضنكا، فالقدر الكثير من الضرائب أدى المجتمع إلى انهيار في الاقتصاد وإلى نشر الخوف في أنحاء الدولة.

"الحاكم السلطان ونوابه يتفننون فى فرض الضرائب، ويتوسعون فى منح الاقطاعات، لضمان جمع اكبر قدر من الاموال، مما يزيد فى تراجع الزراعة وتخلف الصناعة وافلاس التجارة وتفشى البطاعة وغلاء الاسعار... والناس الفقراء و المتبطلون يتبلد حسهم الجماعى، ويرضون بالواقع المر و الظلم الغاشم، ويغيبون عن المطالبةبآى تغيير، او احداث اى تآثير مع آنهم فى بعض الاستقبالات او المآتم يحضرون ويتحركون."[9]

ولكن كان الوضع في عهد المماليك آمنا في معظم الأحوال، انتشر فيه العلم وارتفعت فيه منزلة العلماء والفقهاء، وقامت الحكومة بخطوات عديدة في صالح رعيتها.

الوضع التعليمى:

اهتمت الحكومة في عهد المماليك بالتعليم اهتماما بالغا، فقد أنشئت الحكومة المكاتب، والمدارس، والجامعات، ورحبت بالعلماء الذين توجهوا إلى مصر لأجل الأوضاع المتوترة في البلاد الإسلامية الأخرى.

"انتجتها عقول عباقرة العلم واساطين المعرفة. ويرجع ذلک الى عدة امور: اولها: ان ما اصاب اطراف العالم الاسلامى من كوارث على يد المغول فى بغداد حاضرة الخلافة ومثابة العلم ومنبع العلماء،... تتوجه الى مصر حتى "صارت محل سكن العلماء، ومحط رحال الفضلاء". ثانيها: ماشعر به العلماءمن عظم المسؤولية الملقاة على كواهلهم، والواجب الذى يحتم عليهم تعويض الخسارة المبهظة التى لحقت بالمكتبةالاسلامية.نتيجة اعمال التتار. وعبثت بجهود الآئمة وتراثهم العلمى الذى شيدوه عبر الدهور الخالية؛ ...و تسابقوا فى الاجادة وكثرة الانتاج، وسد كل حاجة دينية او معرفية او كونية بمؤلف او بمؤلفات.فكان لذلک اثر فعال فى تلک النهضة العلمية الزاهرة الباهرة."[10]

واستمرت الدولة على هذا الدأب حتى في عهد المماليك الجراكسة، فقد قاموا بإنشاء المراكز العلمية والمدارس الدينية، وبتكريم العلماء والفقهاء وبالامتثال لأوامرهم، ويروى أنه لما اكتمل بناء المدرسة الظاهرية قام السلطان برقوق بتكريم الشيخ علاء الدين السيرامي.

"وحضر فى ذلک المجلس اعيان من الامراء والقضاة والعلماء، وحصل للشيخ فى ذلک اليوم من التعظيم مالم يحصل لغيره، حتى ان السلطان فرش سجادته بيده، وخلع عليه واعطاه بغلة مسومة وخلع ايضا فى ذلک اليوم على جركس الخليلى، قباءنسج بطرز زركش وجعله متحدثا على المدرسةوخلع ايضا على خمسة عشر ملوک من مماليكه ، كل منهم بذلة طرد وحش كاملة ومبلغ خمسمائة دينار "[11]

وكان الملك المؤيد يقدر العلماء.

"كَانَ مُعظما للشريعة، محبا للْعُلَمَاء والفضلاء... وَكَانَ الْملك الْمُؤَيد سُلْطَانا شجاعا، مقداما مهابا، عَارِفًا بأنواع الفروسية ومكر الحروب، كَرِيمًا على من اسْتحق الْكَرم"[12]

والملك الظاهر كان له نفس العادة فيكرم العلماء وينزلهم أحسن منزلة.

"وكان على قدم عظيم من الصيانة والديانة، والصدقة والإحسان، والعفاف والشجاعة، والعبادة ومحبة العلماء، وله محاسن جزيلة ... كان يعظِّم قاضي القضاة سعد الدين الديري الحنفي، ويكرمه"[13]

وبجانب هذا التكريم كانوا يفوضون إليهم القضاء ويستعينون بهم في بعض شؤون الدولة كتربية الرعية وتعليمهم.

"في يوم الاثنين ثاني المحرم استقر الشيخ ولي الدين السفطي شيخ المدرسة الجمالية في نظر الكسوة مضافة إلى وكالة بيت المال... وفي الثاني عشر منه حضر نقيب الجيش إلى الشيخ ولي الدين السفطي وكيل بيت المال"[14]

وكان العلماء يتمتعون بمنزلة كبيرة في قلوب الناس، فكانوا يقدرونهم ويعظمونهم، فقد كتب السخاوي عن منزلة القاضي حسام الدين محمد بن أبي بكر في قلوب الناس:

" و حمد الناس معاملته فى صدق اللهجة، والسماح وحسن الوفاء، حتى رغب ذو والاموال فى معاملاته. وممن كان يتردد اليه من مشايخنا لمزيد احسانه واكرامه؛ السيد النسابة... وفرح الناس به لاسيما رفقته من بقية المذاهب لما وقر عندهم من حشمته ومحاسنه الجمة، وحينئذ باشره بعفة ونزاهة، وشهامة مفرطة. وقيام بآعباء جماعة مذهبه، والانعام عليهم بانواع من الاكرام، فاجمع شملهم بوجوده، وبلغ كلهم فيما يؤمله غاية مقصوده، ومنعهم من تعاطى الآخذ على الاحكام واكد على من لم يثق به منهم فى ذلك التاكيد التام، حتى بالايمان ونحوها."[15]

وكان لهذا التكريم والتقدير سبب، وذلك أن الجراكسة كانوا محبين للعلم، شغوفين بتعلمه، فالسلطان الملك الأشرف سيف الدين كان يحب العلم ويحاول فهم المسائل الدقيقة.

"قَالَ وَله تهجد وَتعبد وأوراد وإذكار وتعفف وبكاء من خشيَة الله تَعَالَى وميل لِذَوي الهيئات الْحَسَنَة وَالصِّفَات وتلاوة ومطالعة فِي كتب الْعلم والدقائق وسير الْخُلَفَاء والملوك بِحَيْثُ يسْأَل الْقُضَاة وَغَيرهم الأسئلة الجيدة وَرُبمَا افادهم فِي بعض الأحيان وَالِاعْتِرَاف من نَفسه بالتقصير والاعتقاد فِيمَن يثبت عِنْده صَلَاحه من الصلحاء وَالْعُلَمَاء"[16]

كانوا يعقدون الحلقات العلمية حيث تدور المناظرات العلمية، وأنشأوا المراكز العلمية فيتردد عليها الطلاب من أقطار العالم، ووظفوا لذلك العلماء والفقهاء فيمنحون الرواتب من قبل الدولة، فكانت المدارس والجامعات التي أنشئت في عهد المماليك الجراكسية تحمل أهمية كبيرة.

"من مكاتب ومدارس وخوانق ومعاهد للتعليم . التى هى اشبه بالجامعات فى عصرنا. فتلقى فيها الدروس و المحاضرات فى مختلف التخصصات: كالتفسير، والحديث، والقراءات والفقه واصوله، والعربية وعلومها، والطب والفلك ، والتاريخ و الجغرافيا، وغيرها، ولكن التركيز كان منصباعلى العلوم الشرعية"[17]

نذكرها بإيجاز:

1- المكاتب:

أنشئت المكاتب للتعليم الابتدائي حيث يعلم الصبيان القرآن والأحاديث المتعلقة بالعقائد، والمسائل الأساسية بالإضافة إلى ذلك كانوا يمارسون الكتابة أيضا، وكانت مثل هذه المكاتب في عدد كبير في عهد المماليك.

"فان الصبيَّ الناشئ يتلقى وهو لدن العود ثقافته الدراجة في المكاتب التي تسمى: "كتاتيب" ومن

السهل أن نُعِدَّ هذه البيئات المتواضعة موطنًا للدراسة الأولية, هذه المكاتب المنبثة في كل بلد أو قرية, ولا يخلو منها حيٌّ من أحياء المدينة كانت وحدها الجدول الهادئ الذي يترقرق ماؤه, وينهل منه الناشئون، نعم, إن التعليم فيها لا يتجاوز في كثيرٍ من الأحيان حفظ القرآن, وتعليم القراءة والكتابة, ومبادئ الحساب, والإملاء, والمعلومات الأولية, وتدريبًا على المطالعة"[18]

فكان الأساتذة في هذه المكاتب يحصلون على المنح المالية من قبل الدولة.

"قال ابن الطوير: وأما الحسبة، فإنّ من تسند إليه لا يكون إلّا من وجوه المسلمين وأعيان المعدّلين لأنها خدمة دينية، وله استخدام النوّاب عنه بالقاهرة ومصر، وجميع أعمال الدولة كنوّاب الحكم...وهو أربعة وعشرون دلوا، كل دلو: أربعون رطلا، وأن يلبسوا السراويلات القصيرة الضابطة لعوراتهم، وهي زرق، وينذرون معلمي المكاتب بأن لا يضربوا الصبيان ضربا مبرّحا، ولا في مقتل، وكذلك معلمو العلوم بتحذيرهم من التغرير بأولاد الناس"[19]

وهذه المكاتب لعبت دورا كبير في توفير التعليم الابتدائي للطلاب، وكانوا يسمونها بالدار، وقد ذكر أهداف هذه المكاتب محمد بن محمد العبدري في كتابه "المدخل".[20]

2– المدارس:

أنشئت المدارس للتعليم العالي في عهد المماليك الجراكسة حيث يدرس فيها العلوم الدينية والرياضية، والفلكية.

"أنه يريده ليبني فيه دورا ومساكن ومقاصير، يرتب في كل موضع رؤساء كلّ صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية، ويجري عليهم الأرزاق السنية، ليقصد كل من اختار علما أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه"[21]

وأقام السطان صلاح الدين الأيوبي المدارس في مصر بعد ما لم يحدث إقامتها فيها في عهد الفاطميين.

"ولما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية لم يكن بها شيء من المدارس، فإن الدولة المصرية كان مذهبها مذهب الإمامية، فلم يكونوا يقولون بهذه الأشياء، فعمر في القرافة الصغرى المدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي ﷺ - وقد تقدم ذكرها في ترجمة نجم الدين الخبوشاني - وبنى مدرسة بالقاهرة في جوار المشهد المنسوب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، وجعل عليها وقفاً كبيراً"[22]

وقام المماليك البحرية والجراكسة باقتداء السلطان الأيوبي في إنشاء المدارس، مثل "ثم ابتنى الظاهر برقوق (مدرسته الظاهرية) بين القصرين بجوار المدرسة الكاملية فجاءت في نهاية الحسن والعظمة"[23]

3– الجوامع والمساجد:

لا يخفى أهمية المساجد في المجتمع الإسلامي، فهي تلعب دورا بارزا في أداء المهام الدينية.

"فلا يزال الجامع عامرا بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه والاشتغال بأنواع العلوم الفقه والحديث والتفسير والنحو، ومجالس الوعظ وحلق الذكر، فيجد الإنسان إذا دخل هذا الجامع من الإنس بالله والارتياح وترويح النفس ما لا يجده في غيره"[24]

اشتهرت مساجد عديدة في المماليك الجراكسة، تعقد فيها الحلقات العلمية حيث يدرس فيها

الأحاديث، ومسائل المذاهب الأربعة.

"ورتب فيه دروس التفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة و القراءات والطب، والميقات[25]"

4- الخوانق:

أنشئت الخوانق في عهد المماليك للسالكين في طريق التصوف، وهذه الخوانق كان لها دور كبير في تقريب الناس إلى الله إذ قامت بتهذيبهم وتحليتهم بالفضائل.

"الخوانق: كلمة فارسية الأصل بمعنى البيت وتبنى على هيئة مسجد بدون مئذنة، يحيط بها عدد من الغرف، مخصصة لاستقبال الفقراء ... وقد رتب فيها العلماء والمشايخ دروساً في مختلف العلوم وخصوصاً القرآن والسنة والفقه الإسلامي"[26]

وقد استمر هذا الأمر في عهد المماليك الجراكسة.

"ثم ابتنى الظاهر برقوق (مدرسته الظاهرية) وجعل فيها خطبة، وقرر فيها صوفية على عادة الخوانق ودروسا للأئمة"[27]

وكانت تكاليف هذه الخوانق يتحملها السلطان أو ينفق عليها من ريع الأملاك الموقوفة.

"وكان لما أنشأ السلطان مدرسة الأشرفية شرع جماعة من أهل الطمع ممّن له وظايف بعدّة من الخوانق كسعيد السعداء، والبيبرسية، والشيخونية، وغيرها"[28]

وتسمى هذه الخوانق بالربط والزوايا أيضا.

"الرباط ويقال له التكية بالتركية قال الأميري: والخانقاه بالكاف يعني الخانكا وهي بالعجمية دار الصوفية ولم يتعرضوا للفرق بينهما وبين الزاوية والرباط وهو المكان المسبل للأفعال الصالحة والعبادة. وأول من اتخذ دار الضيافة الواردين الوليد بن عبد الملك الأموي واتخذ بعده عمر بن عبد العزيز داراً لطعام المساكين ... وكان لنور الدين محمود بن زنكي يد طولي في الاستكثار من الربط والخوانق بني منها في جميع مملكته للصوفية ووقف عليها الوقوف الكثيرة وأدار عليها الإدرارات الصالحة، ..."[29]

وبالإضافة إلى بناء الخوانق الجديدة قامت الدولة بإصلاح بناء الخوانق القديمة وتنظيم أمورها على أحسن أسلوب.

ولأجل جهود حكام الدولة وحبهم للعلوم والفنون أصبحت مصر مهوى الطلاب والعلماء، وظهر أثره في ذلك بأنه ألفت كتب كثيرة في علوم القرآن والحديث والفقه والسيرة، فلنذكر بعض ما ألف في السيرة في القرن التاسع بإيجاز.

أدب السيرة في القرن التاسع

أرسل الله تعالى الأنبياء لهداية الإنسانية كافة، وجعل النبي ﷺ خاتم الرسل الذي لا يأتي بعده رسول ولا نبي، وجعل الفلاح في الاقتداء بهديه عليه السلام فلا ينال رضاه إلا بإمتثال أوامره عليه السلام، كما قال تعالى:

"ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناک عليهم حفيظا"[30]

ولأنه كان مصباح الهداية لجميع الإنسانية تستضيء به في طريق الحياة، قام العلماء بتأليف الكتب

عن حياته وسيرته، فنذكر هنا بعض ما ألف في القرن التاسع من كتب السيرة.

1– غاية السول فى خصائص الرسول ﷺ:

ألفه ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي (م 804هـ)،[31] وقد جمع في هذا الكتاب خصائص النبي ﷺ مع شرحها وتوضيحها، يذكر منهج الكتاب في المقدمة فيقول:

"فَهَذَا مُخْتَصر نَافِع إِن شَاءَ الله تَعَالَى فِيمَا يتَعَلَّق بخصائص أشرف المخلوقين وَأفضل السَّابِقين واللاحقين صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ... افْتتح كتاب النِّكَاح بهَا وَتَابعه الْأَصْحَاب ... وَالَّذِي ذكره الْمُحَقِّقُونَ فِي ذَلِك أَن الْمسَائِل الَّتِي اخْتلف الْأَصْحَاب فِي خَصَائِص رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَذكر الْخلاف فِيهَا... وَأما مَا يَقع فِي ضمن الخصائص مِمَّا لَا فَائِدَة فِيهِ الْيَوْم فقليل لَا يَخْلُو أَبْوَاب الْفِقْه عَن مثله للتدرب وَمَعْرِفَة الْأَدِلَّة وَتَحْقِيق الشَّيْء على مَا هُوَ عَلَيْهِ...وَاعْلَم أَنه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم اخْتصَّ بواجبات ومحرمات ومباحات وفضائل فَهَذِهِ أَرْبَعَة أَنْوَاع"[32]

أطنب المؤلف في شرح الروايات التي ذكرها في هذا الكتاب مع بيان أسانيدها والحكم عليها، هذا الكتاب يحتوى على أربعة أبواب، كل باب ينقسم إلى فرعين، فالباب الأول للواجبات، والثاني للمحرمات، والثالث للمباحات، والرابع عن الفضائل والكرامات.

2– ألفية السيرة النبوية– نظم الدر السنية الزكية:

ألفه أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر(م806هـ)،[33] ذكر سيرة النبي ﷺ منظوما، واكتفى ببيان الروايات الصحيحة والمشهورة.

"والقصدُ ذكرُ ما أتى أهلُ السّيَرْ بهِ، وإنْ إسنادُهُ لمْ يُعْتَبَرْ
فإنْ يكنْ قدْ صحَّ غيرُ ما ذُكِرْ ذكرتُ ما قد صحّ منه واستطر "[34]

3– وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام:

ألفه أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب(م810هـ)،[35] وذكر فيه أحوال النبي ﷺ بإيجاز، يقول في مقدمة كتابه:

"وَسميت هَذَا الْمَجْمُوع لظُهُور الْبركَة بِقِرَاءَة الحَدِيث النَّبَوِيّ فِي السّكُون وَالْحَرَكَة وَسِيلَة الْإِسْلَام بِالنَّبِيِّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ورتبته فِي سنة سبع وَثَمَانمِائَة بقسنطينة المحروسة على خَمْسَة أَبْوَاب ... الْبَاب الأول فِي نسبه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَفِي أَسْمَائِهِ وَفِي تَارِيخ وِلَادَته وَمن قَامَ بحضانته الْبَاب الثَّانِي فِي أَزوَاجه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَأَوْلَاده وقرابته ومواليه وخدمه وخواصه الْبَاب الثَّالِث فِي مبعثه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وبعوثه وغزواته ووفاتهالْبَاب الرَّابِع فِي نبذ من معجزاته صلى الله عَلَيْهِ وَسلم الْبَاب الْخَامِس فِي ذكر بعض السّنيَّة أَحْوَاله وَفضل صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وعَلى أَهله وَآله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم"[36]

ورتب أحداث السيرة النبوية نظرا إلى الأعوام التي حدثت فيها.

4– سلوة الكئيب بوفاة الحبيب ﷺ:

ألفه محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد الشهير بابن ناصر[37]، واقتصر فيه على بيان ذكر الأحداث التي تتعلق بوفاة النبي ﷺ.[38]

5- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع:

ألفه أحمد بن علي بن عبد القادر تقي الدين المقريزي(م845هـ)،[39] وقد فصل في بيان سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وبوب كل موضوع بعنوان ثم ذكر فيه الروايات المتعلقة به، ويحتوي هذا الكتاب على 15 مجلدا، يقول المؤلف في مقدمة كتابه:

"فجمعت في هذا المختصر من أحوال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم جملة أرجو أن تكون إن شاء اللَّه كافية، ولمن وفقه- سبحانه- من داء الجهل شافية، التقط كتابا جامعا وبابا من أمهات العلم مجموعا، كان له غنمه، وعلى مؤلفه غرمه، وكان له نفعه، [يحده] ، مع تعرضه لمطاعن البغاة ولأغراض المنافسين، ومع عرضه عقله الكدود على العقول الفارغة، ومعانيه على الجهابذة وتحكيمه فيه المتأولين والحسدة، ومع ذلك فقد سميته «إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع» صلّى اللَّه عليه وسلّم"[40]

بالإضافة إلى بيان السيرة اعتمد المؤلف على ما ورد في الأحاديث وتكلم في أسانيدها، ويعد هذا الكتاب من أضخم كتب السيرة التي ألفت في القرن التاسع، ويشتمل على جميع الأحداث الهامة التي حدثت في أيام النبي ﷺ.

6- بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل:

ألفه يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي (م 893هـ)،[41] وقد سرد فيه الأحاديث المتعلقة بمعجزات النبي ﷺ وشمائله بأسلوب أنيق مع شرحها وتفسير الكلمات الصعبة الواردة فيها.

"فان بهجة المحافل. للامام الحافظ أبي زكريا يحيى بن أبي بكر العامري العلامة الفاضل. لما كانت من أحسن الكتب المصنفة والاسفار المؤلفة في الفنون المختلفة من تلخيص المعجزات والسير والشمائل. واشتملت على آيات قرآنية وأحاديث نبوية ومسائل فقهية وآداب شرعية ولغوية واحتاجت لنصب علم على ما فيها من المجاهل. يستدل به الناهل على أعذب المناهل.استخرت الله تعالى في نصب علم يسهل مجهلها ويحل مشكلها ويفتح مغلقها ويقيد مطلقها ويعزي غالب أحاديثها وأقاويلها الى المخرج والقائل وشحته من شرح مسلم للامام النووى الجليل ومن التوشيح والديباج للسيوطى الحافظ النبيل "[42]

بالإضافة إلى ذلك ذكر الأحداث الهامة من السيرة النبوية بإيجاز.

الحاصل أنه ألفت كتب قليلة عن السيرة النبوية ﷺ في القرن التاسع، ولم يكتف أصحابها ببيان السيرة من كتب السير فقط، بل استفادوا مما ألف في الحديث من الكتب، وأضخم هذه الكتب ما ألفه المقريزي لكونه مشتملا على 15 مجلدا، وأحسنها ما ألفه ابن الملقن الذي سرد السيرة النبوية بأسلوب فقهي جذاب.

خلاصة البحث:

وهو معروف من خلال مراجعة الأحوال الجماعية والاجتماعية في عهد العلامة عيني أن الأمة الإسلامية بعيدة عن الوحدة والمصالحة.

كان من أهم أسباب انقسام الأمة الإسلامية هو الاختلاف الطبقي واللغوي والأخلاقي الذي ساد جو من عدم التعاون رغم العيش في نفس في منطقة ومكان واحد. وبنفس الطريقة ، كان المسلمون يعانون من

اختلافات دينية.

انقسمت المملكة الإسلامية إلى أجزاء مختلفة ، وكان المسلمون يتقاتلون فيما بينهم من أجل حكم كل منطقة وحكمها.

كانت منطقة مصر وسوريا محمية من الغزاة الأجانب مقارنة بالدول الإسلامية الأخرى. كان هناك العديد من المؤسسات التعليمية،حيث اعتاد الطلاب على حضور خدمة الماجستير في جميع العلوم والفنون وتحديد مراحل التعليم.

هنا قام العلماء والمؤلفون الكبار بتأليف العديد من الكتب المهمة في مختلف العلوم والفنون ، وكثير منها يحظى بمكانة القبول كما كتبت شروحات البخاري الشهيرة "فتح الباري وعمدة القاري" في القرن التاسع الهجري ، قدمت سيرة النبي ﷺ في شكل قصائد تفصيلية لزين الدين العراقي. كُتبت الكتب لغرض شرح كتب الحديث والفقه والمنطق والفلسفة وأسماء الرجال. ظهرت على الساحة أيضًا كتب أصلية جدًا عن التاريخ التفصيلي لمصر.

في القرن التاسع الهجري ، عمل المؤلفون أكثر على شرح الكتب السابقة وتفسيرها وملخصها واختصارها. ومن أهم مؤلفي هذا العصر: "ابن الملقن ، زين الدين العراقي ، نور الدين الهيثمي ، الشريف الجرجاني ، القلقشندي ، شمس الدين ابن الجزري ، ابن نصير الدين الدمشقي ، المقريزي ، ابن حجر العسقلاني، بدر الدين العيني ، ابن تغري بردي ، ابن قطلوبغا ".

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

الهوامش (*References*)

[1] - سورة النجم:3، 4

[2] - سورة الحشر: 8

[3] - ابن خلدون، عبدا لرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون،محققه، الدكتور على عبد الواحد،دار النهضة العربية، القاهرة، 1936م،725/2

[4] - عاشور، سعيد عبد الفتاح، الدكتور،العصر المماليكى فى مصر و الشام،دار النهضة العربية، القاهرة،الطبعة الثانية 1976م، ص330

[5] . *Lane-Poole, A history of Egypt on the Middle ages, Charles Scribner's Son, New*

York, 1901, vol-VI, p 252-253

[6] ۔ المقریزی، تقی الدین احمد بن علی، اغاثة الآمة بکشف الغمة،محققه ، محمد اکرام، عین الدراسات و البحوث الانسانیة و الاجتماعیة، المصر، الطبعة الاولی2007م، ص147

[7] ۔ عاشور، سعید عبدالفتاح،ا لدکتور، المجتمع المصری فی عصر سلاطین المماليک، دار النهصة العربیة، القاهرة، 1994م، ص16

[8] ۔ا عاشور، سعید عبدالفتاح،ا لدکتور، المجتمع المصری فی عصر سلاطین المماليک ، ص16تا63

[9] ۔ محی الدین مستو، مقدمه البداية والنهاية(مبداالخليقة وقصص الانبيآ وقصص الدنيا و اخبار الماضين)، دار ابنِ کثیر،بیروت، الطبعة الاولی 2007م، 13/1۔14

[10] ۔ عبدالستار الشیخ، الحافظ ابن حجر العسقلانی امیر المؤمنین فی الحدیث، دارالقلم، دمشق، الطبعة الاولی 1416ھ۔1996م، ص19

[11] ۔ العینی، السلطان برقوق مؤسس دولة المماليک الجراکسة،ص191۔192

[12] ۔ ابن تغری، یوسف بن تغری بردی بن عبدالله، مورد اللطافة فی من ولی السلطنة والخلافة، دارلکتب العلمیة، القاهرة، ن م، 136/2

[13] ۔ مجیر الدین العلیمی، عبدالرحمن بن محمد، التاریخ المعتبر فی انباء من غبر، دارالنوادر، سوریا، الطبعة الاولی 1431ھ۔2011م، 205/2

[14] ۔ ابن حجر ، إنباء الغمر ، 132/4،245

[15] ۔ السخاوی، محمدبن عبدالرحمن بن محمد، الذیل علی رفع الاصر اوبغیة العلماء والرواة،مکتبة الهیعة المصریة، مصر،1996م، ص260

[16] ۔ العیدروس، عبدالقادربن شیخ بن عبدالله، النور السافر عن اخبار القرن العاشر، دارالکتب العلمیة، بیروت، الطبعة الاولی 1405ھ، ص17

[17] ۔ عبدالستار الشیخ، الحافظ ابن حجر العسقلانی امیر المؤمنین فی الحدیث، ص20

[18] ۔ محمد کامل الفقی، الازهر واثره فی النهضة الادبیة الحدیثة، المطبعة المنیریةبالازهر الشریف، القاهرة، ن م، 57/1

[19] ۔ المقریزی، المواعظ والاعتبار ، 388/2

[20] ۔ ابن الحجاج، محمد بن محمد بن محمد، المدخل، دارالتراث، بیروت، ن م، 305/2۔334، فصل فی ذکر آداب المؤدب

[21] ۔ المقریزی، المواعظ والاعتبار ، 199/4

[22] ۔ ابن خلکان،احمدبن محمدبن ابراہیم، وفیات الاعیان وانباء ابناء الزمان،دار صادر، بیروت، الطبعة الاولی 1994م، 207/7

[23] ۔ایضاً،416/3

[24] ۔ المقریزی ، المواعظ والاعتبار ، 57/4

[25] ۔ السیوطی، عبدالرحمن بن ابی بکر، حسن المحاضرةفی تاریخ مصر والقاهرة، داراحیاء الکتب العربیة،

مصر،الطبعة الاولى 1967ه، 249/2

[26] - حجار، طارق بن عبدالله، تاريخ المدارس الوقفية فى المدينة المنورة، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، مدينة منوره سعودى عرب، الطبعه 2003م، ص476

[27] - القلقشندى، صبح الاعشى ، 416/3

[28] - ابن شاهين ، نيل الآمل ، 152/4

[29] - كرد على، محمد بن عبدالرزاق بن محمد، خطط الشام، مكتبة النورى، دمشق، الطبعة الثالثة1403ه-1983م، 134/6

[30] -النساء:80

[31] - عمر بن علي بن أحمد بن محمد الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ المصنف سراج الدين بقية -المعروف بابن الملقن-ولد سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة-ودرّس وأفتى واشتهرت تصانيفه في حياته ونقلت إلى البلاد ونفع الله بها-توفي في ربيع الأول سنة أربع وثمان مائة عن إحدى وثمانين سنة .

الغزى، ابو البركات محمد بن احمد بن عبدالله، بهجة الناظرين الى تراجم المتآخرين من الشافعية البارعين، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الاولى 1421ه- 2000م، ص221-223

[32] - ابن الملقن، عمر بن على بن احمد ، غاية السول فى خصائص الرسولﷺ، محققه، عبدالله بحرالدين عبدالله، دارالبشائر الاسلامية، بيروت، ن م، ص67- 75

[33] - عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم أبو الفضل الشافعي المعروف بالعراقي،ولد في حادي عشر جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وسمع الكثير بمصر والشام --- وكتب وألف وجمع وخرّج وانفرد في وقته، توفي يوم الأربعاء ثاني شعبان سنة ست وثمانمائة-

ابن الجزرى، محمد بن محمد بن يوسف، غاية النهاية فى طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة 1351ه، 382/1

[34] - العراقى،عبدالرحيم بن الحسين، الفية العراقى، التبصرة والتذكرة فى علوم الحديث، دارالمنهاج، الرياض، الطبعة الثانية 1428ه، ص93

[35] - احمد بن حسين بن علي بن الخطيب بن قنفذ القسنطيني -أبو العباس الشهير بابن الخطيب وابن قنفذ الإمام العلامة المتفنن القاضي الفاضل المحدث -وألف تآليف عدة في فنون-وروى عنه الإمام ابن مرزوق الحفيد وغيره، مولده في حدود الأربعين وسبعمائة، وتوفي عام عشرة وثمانمائة.

التكرورى، احمد بابا بن احمد بن الفقية، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دارالكاتب، ليبيا، الطبعة الثانية، 2000م،ص109

[36] - ابن قنفذ، احمد بن حسين بن على، وسيلة الاسلام بالنبى عليه الصلاة والسلام،محققه،سليمان العيد، دارالغرب الاسلامى، بيروت، الطبعة الاولى 1984م، ص32

[37] - محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد بن أحمد، الإمام العلامة الحافظ المؤرخ شمس الدين محدث العصر

الشهير بابن ناصر الدين الدمشقي-له الإنشاءات الحسنة --- والدروس البديعة ضابطاً لما يقوله ويرويه مع تأني وحسن ذو معرفة وسياسة وعقل صحيح-مولده كما أخبرني به في العشر الأول من المحرم سنة سبع وسبعين وسبع مائة--- توفي إلى رحمة الله تعالى في الجمعة سابع عشرين ربيع الآخر سنة اثنين وأربعين وثمان مائة.

ابن فهد، محمد بن محمد بن محمد، لحظ الالحاظ بذيل طبقات الحفاظ، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى 1419هـ-1998م،ص101

[38]- القيسى، محمد بن عبدالله (ابى بكر) بن محمد بن احمد، سلوة الكئيب بوفاة الحبيب ﷺ، محققه، صالح يوسف معتوق، دارالبحوث للدراسات، الامارات، ن م

[39]- الشيخ العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي --- والمقريزي: نسبة إلى حارة ببعلبك سكن بها من أجدادي محمد بن قيم- والمقريزي إخباري وترجمته طويلة، وحفظ تاريخا كثيرا، مولده بعد سنة ستين وسبعمائة بسنيات، ونشأ بالقاهرة-توفي بمصر يوم الخميس سادس عشري رمضان سنة خمس وأربعين وثمانمائة.

سبط ابن العجمى، احمد بن ابراہیم بن محمد، كنوز الذهب فى تاريخ حلب، دار القلم، حلب، الطبعة الاولى 1417هـ، 268-267/2

[40]- المقريزى، احمد بن على بن عبدالقادر، امتاع الاسماع بما للنبى من الاحوال و الاموال والحفدة والمتاع، محققه، محمد عبدالحميد النميسى، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى 1420هـ- 1999م، 3/1-4

[41]- يحيى بن أَبِى بكر بن مُحَمَّد بن يحيى بن مُحَمَّد بن حُسَيْن العامري الحرضي اليماني الشافعي-ولد سنة 816 سِتّ عشرَة وثمان مائَة وَهُوَ مُحدث الْيمن-له مصنفات مِنْهَا الْعدَد فِيمَا لَا يسْتَغْنى عَنهُ أحد فِي عمل الْيَوْم وَاللَّيْلَةومؤلفاته مَشْهُورَة مقبولة نافعة مفيدة وَمَات بحرض فِي سنة 893 ثَلَاث وَتِسْعين وثمان مائَة وَدفن بهَا.

الشوكانى، محمد بن على بن محمد، البدرالطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دارالمعرفة، بيروت، ن م، 327/2

[42]- الحرضى، يحيٰ بن ابى بكر بن محمد ، بهجة المحافل وبغية الآماثل فى تلخيص المعجزات والسير والشمائل، دارصادر، بيروت،ن م، 2/1